

## دور الفضاء الخيالي وسيروورة التعقيل في تعزيز الرجوعية عند الطفل مقاربة نظرية

فراحتة دنيا

أ.د. بوسنة عبد الوافي زهير  
كلية علم النفس وعلوم التربية  
جامعة عبد الحميد مهري قسنطينة 2

### ملخص

يتطرق هذا المقال إلى دور التعقيل وثراء الخيال في بناء الرجوعية عند الطفل. وقد اعتمد تحليل المتغيرات بالرجوع إلى مفاهيم النموذج الديناميكي النفسي المعاصر. هذا الأخير أسس على توظيفات نفسية عميقة ومعقدة تعزز القدرة على الرجوعية، وهو نموذج مرن في التعامل مع المواقف الصعبة والمعاناة والصدمات النفسية. الكلمات المفتاحية: التعقيل، الخيال، الرجوعية، اللعب.

### Résumé

Cet article se propose d'étudier le rôle de la mentalisation sur la construction de la résilience chez l'enfant. L'analyse des variables est réalisée sur la base des conceptions contemporaines du modèle psychodynamique.

L'accent est mis sur les fonctionnements psychiques et complexes qui favorisent la résilience et se sont des modèles flexibles dans les modalités d'adaptation aux situations stressantes.

**Mots- clés :** Mentalisation, Imagination, Résilience, Jeu.

### مقدمة

**تعتبر** الرجوعية كسيرورة دينامية تسمح بالتطور الجيد أمام المحن و وضعيات صدمية انطلاقا من إمكانيات داخلية ودعم محيطي، قابلة لأن تكون فعالة في وقت معين وحسب بعض النتائج وفقا للمحن والشدائد المعرض لها. فهي قدرة نفسية تكيفية تركز على المقاومة وإعادة البناء لتجاوز الضغوطات بمختلف

أشكالها. وذلك بدعم توظيفات نفسية فعالة تضمنت ثراء الفضاء الخيالي والتعقيل، اللعب والتعلق والتي لها الدور المهم و في تعزيز سيرورة الرجوعية عند الطفل.

### 1- الخيال:

الخيال كما عرفه (Bergeret 1990-1991) هذا المصطلح يضم مجموعة واسعة مما يتم تصميمه تحت اسم "حلم"، وحسب (Cyrulnik 1999)، Vanistendael (2000)، Lecomte (1991) ، Bergeret الخيال وسيلة نشاط الأحلام والهومات سواء في الوعي أو اللاوعي يتركب من الهومات، ما قبل الشعورية، الشعورية، اللاشعورية أو البدائية" بالنسبة لهذا المؤلف فهو وظيفة ضرورية للتوازن النفسي، تسمح لنا في الواقع "بأن لا نحس أننا سحقتنا جراء فعل اقتحامي أو حركة اقتحامية جد حتمية لعوامل خارجية".

( Claude De Tychey, 2001, p 49-68)

بالنسبة لـ Jean Bergeret هو في الواقع أحد الوسائل والطرق الأكثر فعالية للنجاح في التخلص من الواقع الصدمي الغير محتمل والارتداء أو الغوص في واقع آخر أكثر جاذبية- ما يساعدنا أثناء فترة الأزمة لتحمل ما لا يطاق وتأسيس أول محرك لمحاولة بناء عالم آخر. لكن العودة إلى الخيال، لما يتم قيادته من خلال قناة الإسقاط لاستبدال كليا وبطريقة دائمة لحقيقة داخلية مشوهة بدلا من كونها في مكان الحقيقة الداخلية، يمكنها أيضا الوصول إلى عدم التكيف والارتداء في المرض (Boris Cyrulnik, Duval Philippe, 2006, 148)

### 1-1 تطور الفضاء الخيالي:

إن مسألة محددات بناء هذا الفضاء الخيالي هي جد معقدة، إذ يبدو وأن جزء كبير من هذا الكيان يبدأ بالتطور من الحياة الجنينية الداخلية، فالأعمال المقدمة في علم النفس النمو (Cyrulnik 2000) يظهر بوضوح حساسية الجنين للمحفزات أو المنبهات الصوتية منذ 6-7 أشهر من الحمل وتأثيرها قد تكون للتهدة أو الاضطراب دون إنكار العوامل الوراثية.

إجراء تحقيقات أخرى حسب (Veldman 1990، Dolto- Tolitch 1998) يشيروا إلى أن هناك بين 4-5 أشهر تصميم حساسية عالية للتنبية عن طريق لمس الجنين وأن استعمال هذه الفتوات من قبل الوالدين خلال فترة الحمل يمكنها المساعدة على السلامة الأساسية للطفل، بما في ذلك العديد من المحللين النفسانيين

يعتقدوا (Fonagy (1994-1996) Kreisler(2000) أنه احد المحددات الرئيسية لنوعية الرجوعية المرتفعة.

ونؤكد الوعي الجيد للوالدين بالنصيحة (Tolitch- Dolto(1998) باللجوء إلى تعظيم هذين السجلين لبناء رابط تعلق على قاعدة مؤكدة "أمنة" منذ بداية الحمل.

لكن ثراء وغنى التمثيلات التي تم تعميمها في ما قبل الشعور تعتمد إلى حد كبير على مدى بناء الفضاء الانتقالي (Winnicott (1970) أين الأم يتم تمثيلها في مستوى الخيال كمصدر دائم للأمن الذي يمكن أن يهلوس الطفل ويوصله إلى الهذيان والهوام في غيابها (Detychey.C,OP.Cit,P 60)

أما (F.Dolto(1984) تؤكد على أهمية التفاعل المبكر في بناء فضاء تخيلي فإنها تؤكد على وجه التحديد وزن التبادلات الكلامية بين الأم والطفل. إنه من المهم لدى Dolto أن الأم تتجح منذ البداية في العلاقة جسد بجسد مادي مع طفلها بناء على الاتصال باللمس، ثم علاقة عن بعد بوساطة اللغة. فمن المهم أن تأخذ الأم قدرا ممكنا من اللذة لتسيير أولى الصوتيات اللغوية والألفاظ للطفل ليقتدي بها ويقوم بإعادتها مع المداعبة والمعانقة واحتوائه بالقبلة.... يجب أن يكون هناك رغبة في تسمية الأشياء المحيطة بالطفل، إذا كان نمط التبادل يبني عن طريق استخدام اللغة و هو أول المحددات الأساسية للبناء الخيالي، فان نوعية التبادل المتعلق باللعب يبني حسب (Dolto (1984) وبالنسبة لـ (Carmer (1999) هو ثاني معلم مهم.

( De Tychey. Claude, 2001, p61 )

فكما أشار Yvonne Castellan في كتابه Psychologie de la famille أن الارتباط الهوامي للطفل مع الآخر ينتج عن أولى الموضوعات وهي الأم، حيث يحدث صوت رابط عاطفي بين عاطفة الرضيع وما هو متعلق بنفسية الأم، وهذا ينتقل خاصة من خلال "اللعب" أي الطريقة التي تلعب بها الأم بشكل متكرر مع الطفل.

وهذا ما أكده أيضا S.Lebovici في دراسة له حول العلاقة أم- طفل وملاحظة سلوكيات أمهات أثناء اللعب مع أطفالهم وكيفية اكتسابهم للوظيفة الهوامية من خلال ما يسمى بالصدى الهوامي. فهي تعطي جزء من حياتها النفسية للطفل انطلاقا من هوماتها. فالصدى الهوامي أصوله ومنبعه هو التفاعل أم- طفل ثم يمتد إلى عناصر العائلة و أولهم الأب (Castellan,1993,p13)، فاللعب في هذه الفترة يجب أن يكون ذو امتياز في التفاعلات التربوية، كما يمكنها أن تكون في التفاعلات العلاجية للمساعدة في التصدي إلى الصدمة وبناء الرجوعية، وقد

أظهرت (1999) Gannagé كيف للعب أن يسمح للطفل أن يعيش مثلاً في بلد في حالة حرب دائمة بمجرد أنه " يبني أو يهيكل تقمص نموذج ايجابي، وفي بعض الحالات تقمص المعتدي هو أيضاً وسيلة للسيطرة والتحكم من خلال مواقف نشطة لما أصيب بشك لسليبي.

( De Tychey.C.2001. P 61)

كما أن الهوام الأصلي والذي يقوم أساساً على التعميمات الهوامية التي يعيشها الطفل في العائلة هي التي تحكم أدائه وسلوكاته، نظمه وأفعاله، فالطفل أثناء نموه يحاول أن يدرج نفسه في نسيج ويعدل نوعية العلاقات مع أفراد العائلة، لكنها تتغير مع نمو وتطور هؤلاء الأطفال وصولاً إلى سن المراهقة لأن كل فرد له ميزاته الشخصية وله حياته الخاصة خارج العائلة حتى الأطفال لهم اختيارات في الاحتكاك بالمحيط الواسع في المدرسة والزملاء....

حيث يقول " Simon Decobert إننا هنا مثال تواجد تنظيمة هوامية مقسمة لكن أيضاً نمو من الناحية العاطفية الثقافية... ويقصد بالانقسام، إن كل فرد يبقى مبدعاً فردياً أين اللا شعور يشبع مع التقاء الوظائف الأخرى..". رغم وجود قاعدة أصلية للمجموعة إلا أن الهوام المهم سيظل ويكون مرناً وسرعان ما يتجسد ليصبح أكثر صلابة. كل هذه الوظائف التي رأيناها سابقاً، والسلوكات اليومية للأمم تثبت الطفل في حياته وفي المجموعة العائلية وتحقيق شبكات تركيب هامة في نموه، تقمصاته، إسقاطاته، نقلاته، علاقاته الموضوعية، كلها في نطاق الروابط الشخصية.

حيث أن إمكانيات الطفل تتطور وفي نفس الوقت الوظائف تتغير، حيث تركز على طلبات مختلفة عن طلبات الأمومية الأولية. وهكذا يكتسب الطفل تطور خيالي معرفي هام يؤهله للالتحاق بالمدرسة وتحفيز الإبداع والنشاط لديه، حيث أنه يتحصل على تطور اجتماعي يتجاوز العائلة النووية ثم العائلة الكبيرة ليبدل علاقة الرفاق وتخلق لديه هو الآخر وظائف جديدة (Castellan,1993, 18).

## 2-1 . وظيفة الخيال في تجاوز الصدمة والرجوعية:

فإننا نتساءل عن وظيفة الخيال في تجاوز الصدمة وفي تطور قدرات وإمكانيات التعقيل. فبعض هؤلاء الأطفال قد يبدو معزولاً عن العالم. ما هي وظيفة هذه الأحلام في مواجهة الصدمة؟ أثناء بحوث كل من Anne-2014 و Alexane Hanni،Valérie ركزوا انتباههم على اللعب والإبداع والخيال لدى

الأطفال، والتي من خلالها يستطيع الطفل أن يطور نوع من الدفاع وبالتالي الشجاعة والجرأة لتحويل الواقع. (Winnicott (2008)

إن الخيال إذا قام بدعم الرجوعية والتعقيل يمكن أن يصبح أيضا هروب، وهو حجة وملجأ الذي يقلص ويخفض الموضوع بصفة حاسمة إلى الخارج إذا استخدم بشكل صارم. (Alexane Hanni-Juillard et Anne Valérie Mazoyer, 2014, p145-155)

في الواقع، الخيال مهم لنمو وتطور التفكير الرمزي والإبداع، إنه بمثابة دعم حاوية نفسية أو مضمون نفسي، فالأطفال عن طريق اللعب يقومون بتحويل هذه الأحاسيس إلى تمثيلات عن طريق تأمين أنفسهم في عالمهم الخيالي وتقليل من حالة الإنذار والرعب. ومن ثم الشعور بالحرية التي تمنحه إمكانية التمثيل والرغبة والتحدث مع الآخرين.

وبهذه الطريقة يتوصل الطفل إلى إعطاء معنى للأحداث المحيطة به بطريقة سهلة حول ما عاشه من تجارب، وهذا يساعد على تنظيم عالم مجنون فوضوي بالإضافة إلى ذلك فكلما يتطور العالم الخيالي للطفل كلما يسهل تخيل عدة نتائج لوضعية سلبية، ويسهل التخطيط للمستقبل بتخيل أكثر سهولة، أيضا الطفل يتوصل إلى الحلم ويصبح قادرا على الرجوعية، وتوظيف ميكانيزمات دفاعية محاولة منه للبقاء على قيد الحياة رغم الصدمة .

لا يستسلم الطفل يظهر النشاط و ينطوي على عالمه الداخلي حتى يجد نفسه في حالة أفضل يمكنه إذن أن يحصل على حالة من الهدوء الضرورية للتأمل والتبصر في أفكاره ومشاعره.

AlexaneHanni-Juillard et Anne Valérie Mazoyer,2014,p 148

## 2- سيرورة التعقيل:

### 1-2. تعريف التعقيل:

التعقيل هو سيرورة نفسية داخلية أساسية التي تأتي لبناء القدرة على الرجوعية، تعريف هذا المصطلح المعقد أو المقدم المؤسس من طرف، P. Marty في 1961 في مجال التحليل النفسي وFain، كما أثار العديد من المساهمات (Bergeret (1986)، (1991)، (1981) Laquet، R. Debray (1191)، (1994) Fonagy، (1995) Dejour، (1996) Bouchard، (1997) Lecours، (1997) DeTycheyDiwi، (2000) Dollander.

بالنسبة لـ R.Debray (1991)، التعقيل يشير إلى القدرة على تحمل أو معالجة أو حتى التفاوض مع القلق الداخلي النفسي والصراعات الشخصية والنفسية الداخلية. ومن خلاله يظهر نوع العمل النفسي الذي يمكن تحقيقه أمام القلق والاكنتاب والصراعات الكامنة في الحياة".

(De Tychey, 2001 , p 49-68)

استعمل Pierre Marty مصطلح التعقيل في النفسوجسدية للدلالة على: "مجموعة العمليات الرمزية أين الجهاز النفسي ينظم الطاقة الغريزية النزوية والليبية أو العدوانية". بالنسبة لـ Marty (1919) التعقيل هو خط كمي ونوعي للتمثيلات النفسية للأفراد.

أما De Tychey, (1991) فهو يؤكد أنه يقوم على وظيفة ما قبل الشعور، ويعتبر الفضاء الخيالي المؤهل بالتمثيل والعواطف المتدفقة بسهولة، على الأقل (p58) مهياً مع الزمن اعتماداً على طبيعة استخدام الدفاعات التي تم استعمالها من طرف الموضوع.

بالنسبة لـ Bergeret (1991) التعقيل هو الاستخدام العقلي الذي يقوم بتفعيل الخيال، وهو أحد طرق تشغيل الخيال التي تقوم بمعارضة الجسدية والسلوك.

اهتم كل Bergeret و Lustin (1986) في وجيز علم النفس المرضي بأهمية العملية الرمزية Symbolisation والتي لها وجهان:

تشير أولاً إلى عمل تحويل في التفكير في الإثارة النزوية بمعنى ضغوطات ذات طبيعة خاصة جنسية وعدوانية، في التمثيلات العقلية التي يمكن مناقشتها. أنها تتضمن أيضاً عمل الارصان النفسي للعواطف، خاصة عدم الرضا على شكل روابط لتمثيلات منقسمة قد تعطي معنى لمشاعر الموضوع. يؤكد (1991) Bergeret على المسار الأمثل، والأكثر تكيفاً لمعالجة الضغوطات.

كما أظهر Marty (1991) أن نوعية الفضاء الخيالي والتعقيل هو متغير من موضوع إلى آخر، وهذا يقودنا إلى التفكير في العوامل التفاعلية المتسلسلة التي قد تسهل بناء خيال وتعقيل ثري ومنه إلى رجوعية أكثر جوهرية لهذا الموضوع (De Tychey. , 2001, pp 49-68)

بالنسبة لـ Fonagy Peter وزملائها، التعقيل هو مفهوم وضعته لوصف القدرة على فهم الذات والآخرين، الحالات العقلية (النفسية) التي هي الاعتقادات والنية، الرغبات، الأفكار والعواطف التي تتضمنها السلوكيات (2006)، (Bateman ،Fonagy،Allen) يعني أيضاً الاعتراف بالفرد الذي يتمتع

بحالة عقلية يمكنها أن تكون مختلفة عن الآخرين (Lasky- Blatt- 2002) ( Alexandre Chabot, et al, 2015, 207 - 240) Auerbach

والتي هي ليست تمثيلا للواقع الخارجي (Targy- Fonagy)، نظرية التعقيل ناشئة عن إدماج المعرفة في التحليل النفسي في البحوث حول الأطفال الرضع والتعلق وأيضا في علم الأعصاب (2008) Schmeets دمج الأسس الرئيسية لهذه النظرية سمح بالفهم الجيد للوظيفة النفسية للفرد، أيضا بتطوير علاجات مختلفة خاصة بالاضطرابات العقلية و اضطرابات الشخصية الحديثة.

( Fonagy, Bateman 2012) (Bateman,Fonagy2006)

اضطرابات ما بعد الصدمة (Fonagy- Lemma- Allen 2012) اضطرابات الشخصية الضد-اجتماعية (Fonagy- Bateman 2012) -الاكنتاب Gonagy- 2012 Target- Lemma- Bateman 2012 -اضطرابات الأكل Alexandre Chabot, Julie Achim et al, Ibid, ) (Skarderud) (P209).

إذن مصطلح التعقيل ليس له تعريف أحادي المعنى في التحليل النفسي يجب الإشارة أنه إذا أردنا التقرب إلى مختلف الجوانب بالتفصيل، Mentaliser le Trauma تعقيلًا لصدمة هو من خلال عمل الاستقراء، الذي يركز على قدرتنا أو كفاءة الاستقراء (الاستبطان) والتعبير اللفظي والقيام بعمل مزدوج بالتعبير الرمزي:

• التعبير الرمزي للإغراءات أو الاثارات المعاشة التي لا تطاق على المستوى النفسي الداخلي المرتبطة بالصدمة لتحويلها إلى صورة أولاً، ثم إلى تمثيلات متقاسمة تحت شكل كلمات في إطار تبادل مع ثالث قادر على التلقي للبدء في التحرر. هذا العمل يمكنه أيضا أن يتم من خلال الكتابة بالسرد بدلا من السرد المباشر مع الآخر إنها قريبة بما فيها لكفاية ( Boris- Cyrulnik et al Philips Duval, 2006, P 149-150) لما يسميه B.Cyrulnik بكتابة الصدمة " من أجل كتابة الصدمة دون العودة إلى الماضي يجب دمج عمل الذاكرة في مشروع في سريرة طوية أو في اتجاه حلم. إذن أثر الرجوعية يقوم على الكتابة كنهاية. ومواجهة وضعية بما في ذلك العلاقة مع طرف ثالث غائب."

• رمزية العواطف: هذه العملية الثانية أساسية لارصان الصدمة Elaboration du Traumatisme تبني في النجاح لوضع حروف عواطف المعاناة المرتبطة بالتمثيلات الصدمية، من خلال ربطها بتمثيلات متقاسمة مع ثالث الذي يمكن أن يكون قريب، وجه من المحيط الخارجي أو معالج هذا البعد

الثاني هو أهم من السابق، يسمح للموضوع بالارتداد والقفز أو التحرر كليا أو على الأقل جزئيا من المعاناة التي ثبتت سابقا. وذلك يعتمد أولا على نوعية الوظيفة العقلية لكل فرد، كما أظهر المختصين في هذا التساؤل نفس قدرة التعبير عن مشاعرنا الانفعالية، خاصة الميكانيزمات الدفاعية، كما أشرنا سابقا هذه الأخيرة التي يمكنها أن تستعمل بطريقة جامدة وتعيق الرجوعية، هي أيضا توظف أو تعمل حسب نوعية الرابط العاطفي أو الانفعالي الذي يبني مع الآخر. نحن في هذا الإطار متفقون كثيرا مع Lecomte الذي ركز على أهمية هذا العامل. يبدو أن المسعى الأول هو نوعية التعاطف مع ثالث الذي يسمع عن طريق تقمص تعاطفي لهذا الذي يتكلم، إذا كان هذا التقمص التعاطفي هو الذي يسمح بتقاسم وتحويل جزء من المعاناة النفسية اتجاه الشخص الذي يصغي.

## 2-2. تطور القدرة على التعقيل:

### • التطور الطبيعي:

القدرة على التعقيل تتطور خلال السنوات الأولى من حياة الطفل ويرتبط ارتباطا وثيقا بنوعية التفاعلات مع الوجوه الأساسية للتعلم (Fonagy, Target, Jurist, Target, Gergely, 1997) (Fonagy, 2004) في النهاية من أجل الوصول إلى تطوير القدرة على الفهم وإعطاء معنى لفكر الآخر. فعلى الطفل الاستفادة من سياق الذي يضبط ويعدل فقه الراشد خبراته الذاتية (Fonagy 1991) (Fonagy 1991) فيدرك الفكرة الإرادة والمشاعر هي حقيقية (Aurbach وآخرون 2002) أيضا حتى يكون في معيار التعقيل، يجب على الطفل أن يصل إلى تأهيل عن طريق أفكار ومشاعر كافية، وأيضا والدين عاديين بمعنى يركز بشكل كاف على الواقع الذي يعكس بانتظام حقيقة الحالات العقلية/ النفسية.

(Fonagy, 1995) (Alexandre Chabot, Julie Achim, Miguel.)

M. Touradas, 2015,

استعمل Fonagy في البداية مصطلح وظيفة الانعكاس الذاتي وأن هناك أثرا قطعيا في عام (1996) بالنسبة له التعقيل يعرف بطريقة أصلية، " الوظيفة الانعكاسية للذات" ولتعريف التعقيل أخذ بعين الاعتبار " الكفاءة على أخذ بالحسبان الحالات العقلية للآخرين في فهم وحتمية سلوكهم". وشدد على أهمية التعلق المبكر الآمن، هذا الأخير يلعب دورا مهما في التكيف النفسي مستقبلا لدى الطفل خاصة على مستوى بعد مهم: كفاءته على تشجيع أو عرقلة تنظيم العواطف، هذا اعتمادا على موقف الوالدين نحو العواطف الحقيقية في سن معينة حيث أنه لا يملك الكلمات لتعريفها.

فالارصان يمر الرمزية التي تسمح للوالدين "في البداية بالنجاح فينق لصورة دقيقة وتنظيم الحالة العاطفية للطفل" عن طريق التعبير اللفظي يعمل كمرآة عاكسة. في حالات متعددة، نجد الطفل غير قادر على إعطاء معنى لحالاته الداخلية للتمييز بين الواقع المادي والواقع النفسي. يتساءل (Fonagy, 1994) إذا كنا نستطيع تعليم استراتيجيات للوالدين لمساعدتهما على التركيز على العالم النفسي لطفلهما". (De Tychey, 2001, p49-68.) هي قريبة جدا من (Garmer et Brazelton 1991) الذين يجادلون تطور إمكانات الوالدين، أو Manciaux الذي اقترح دعما مناسباً لبناء الوالدين وليس بعيدا عن المستوى النظري الذي تبناه (Bion 1962) ، وركز على دور قدرة الأحلام والخيال لدى الأمهات، وهذه طريقة أخرى لإضفاء الطابع الرسمي على نشاط التعقيل.

في الواقع. يفكر أن الأم لها مهمة إزالة السموم والانطباعات الحسية الانفعالية من خلال وظيفة معينة لتحقيق ونجاح التعبير بالكلمات ويجب العودة إلى الرضيع الذي يشعر بالخلط. والمساعدة لبناء الوالدية تهدف إذن إلى تحريك مشاعر الأم وجعلها حساسة في هذا البعد. ويرى De Tychey أن أهمية اللغة والطريقة التي تستعملها الأم تسمح أولا من خلال الوساطة بإعطاء واستعادة المعنى لما يعيشه الطفل من خبرة كفوضى أو تشوش أو خلط في البداية (De Tychey, 2001, pp 61-62).

انطلاقا من الشروط الأساسية وضعت Peter Fonagy (2004) نموذجا لتطور قدرات التعقيل في خمسة مراحل:

الرضيع يتعلم في سن الثلاثة أشهر وأنه والآخر مستقلين عن بعضهما والذي يوفر أساسا للتمييز بين الذات والآخر من خلال التنشئة الاجتماعية وتحقيق أنه من الممكن التأثير على تصرفات الآخرين من خلال التواصل اللفظي والغير لفظي، ثم في سن التسعة أشهر، المرحلة الهادفة الطفل يفهم تصرفات الآخرين وفقا لنتائجها أو أثرها عليه دون التساؤل حول ما يمكن أن يحفزه أو يدفعه إلى ذلك، وخلال السنة الثانية من الحياة يصل إلى المرحلة الرابعة إنه يطور القدرة على إقامة الصفات السببية ما يسمح له بالفهم الجيد للسلوكيات الملحوظة.

(A. Chabot, Julie Achim, Miguel. M. Touradas, 2015, p211)

يمكنه إذن البدء في تفسير الأفعال والتصرفات بالتركيز على النتائج وفهم أن الحالات النفسية والعقلية لها دوافع معينة وأنه بالإمكان تفسيرها بطريقة خاطئة (Fonagy وآخرون 2004) عندما يصل الطفل إلى هذه المرحلة فإنه سيتم تطوير اثنين من الأنماط سابقة التعقيل أو ما قبل-التعقيل سواء أنماط " التوازي النفسي"

والخيالي، أو الوهمي "هذان النمطان يندمجان في بعد لإعطاء ولادة جديدة للقدرة على التعقيل (Target- Fonagy2007) طريقة " التوازي النفسي " غير ملموسة، تجربة ذاتية للواقع ويعتبر الفرد كحقيقة واحدة ووحيدة. في هذا الأسلوب الطفل يعتقد أن كل شخص يتقاسم معه اعتقاداته، ويعرف كل الحالات العقلية والنفسية للآخرين وأن الآخر يعلم بكل حالاته النفسية. وهكذا خبرته الذاتية في الواقع الخارجي ينظر لها على أنها متطابقة بمعنى أن الطفل لما يصمم تفكير وعاطفة أو اعتقاد يفتنع أنها من الواقع إنه غير قادر على النظر في الوضع من منظور آخر. التصور الحالي يبني بالنسبة إليه بطريقة واحدة أي سبيل واحد لفهم العالم كحدث خارجي لا يمكن تحويله، يمكننا تلخيص هذا الأسلوب في:

ما أفكر فيه يتم إدراكه وتصوره والشعور به ما هو إلا حقيقة وواقع. هذا يتضح مع (Mary Target et Peter Fonagy2007) الذي يفسر أن الطفل في 3 سنوات الذي يتصور أن وحشا مختفي تحت سريره الذي يتأكد بوجود الوالدين والتحقق معهما من عدم وجوده، بعدها يمكن للطفل أن يدرك أن ليس هناك وحش في غرفته يمكنه حتى يعتبر أن رأيه السابق لا أساس له من الصحة. مع ذلك خوف الطفل يمكن أن يتم إحياءه من أدنى ضجيج قد يحدث ونتيجة لهذا الصوت الجديد وآثار الخوف، الذكريات حول التحقق من تحت السرير لن تكون كافية وبالتالي استعادة منظور جديد تأكيده السابق حول الحقيقة الذاتية للطفل تأخذ الأسبقية على الواقع الخارجي إنه سوف يحتاج للتحقق معه مرة أخرى تحت السرير (Target- Fonagy) (2007)

(Alexandre Chabot,et al,2015,P211)

يمكن للطفل في الأسلوب "الوهمي "أن يحافظ على واقع خيالي "وهمي" شخصي منفصل عن العالم الخارجي من خلال سيناريوهات لعب يقوم على " كما لو « comme-si » "ومع ذلك في هذا الأسلوب الواقع الداخلي والخارجي موجود بطريقة متوازية لديه بشرط أن تكون مستقلة تماما وغير مرتبطة. لا يستطيع الطفل بالتالي الحفاظ على واقع وهمي شخصي الذي يخلقه هو ويوجه رسالاته إلى الواقع الخارجي، لهذا الغرض (Target- Fonagy 2007). نذكر على سبيل المثال الطفل الذي يستعمل الكرسي في لعبة الحرب ويعتبره دبابة. الطفل يمتص أو يستوعب في لعبته إنها تسمح له بالتعبير عن النزوات العدوانية فقط لأن ما يلعبه يبقى مستقلا عن العالم الخارجي وبالتالي يثبت أنه أقل تهديدا بالنسبة له. لما الوالد يطلب أو يسأل أن الدبابة ما هي إلا كرسي. الطفل يتوقف على الفور عن اللعب، الطفل يعي أنه كرسي في العالم الواقعي لكن لا يعطيه

أهمية واعية في اللعب ما هو إلا دبابية، لكن الطفل لم يعد قادرا على اللعب من لحظة تدخل الواقع الخارجي ووجود هذه الحقيقة قام بتخفيض واقع ضميره، وبالتالي مقارنة الواقع الخارجي في لعب الطفل بالخبرة الخيالية الشخصية وهذه الأخيرة يتم تدميرها من قبل سيادة الواقع. (Target- Fonagy, 2007)

القدرة على التعقيل تنتج إدماج أنماط "التوازي النفسي" و"الوهمي/الخيالي" وصول الطفل إلى تصميم حالات نفسية وعقلية كتمثيلات للواقع الداخلي والخارجي ولذا تهكما للآخرين (Target- Fonagy, 2007). وللقيام بذلك يجب أن تكون لديه فرصة تقاسم خبراته الداخلية الواقعية مع أفراد يهتمون به حقيقة، وهم يقدرونه ويفهمونه بالكامل وبشكل كاف. يحدث هذا التكامل لما يكون الطفل واعيا وقادرا على احتمال وجود توافق وانسجام بين خبرته الشخصية الذاتية والواقع الخارجي لكنها يمكن أن تختلف أو تتباعد في بعض الأحيان. (Alexandre Chabot et al , 2015, P P212-213.)

على سبيل المثال: الطفل الذي يقوم بإظهار قدرة جيدة على التعقيل يمكنه أن يواجه وضعيات صعبة من الحياة يقوم بتنظيم المسائل التي تثار لديه من خلال اللعب. التظاهر أنه قادر على إعداد سيناريوهات مختلفة متعلقة على الأقل بتجارب حياته، ما يسمح له بتخفيف الشحنة العاطفية المرتبطة بها خلال اللعب، الطفل يمكنه أنه يحقق في نهاية المطاف بعض الوعي بالتطابق والانسجام الموجودين بين الجوانب الرمزية التي يعبر عنها والواقع الخارجي.

هذا سوف يساهم في حل المسائل النفسية الداخلية ، وهكذا الطفل الذي يخلق تكامل بين "أنماط التوازي النفسي" و"الوهمي" يدرك أنه حتى لو كان ينظر عندما يلعب الحدود بين خبرته الذاتية أو الواقع الخارجي هي قابلة للاختراق . (Target- Fonagy, 2007)

وبالتالي فدور اللعب هو حاسم في تطوير القدرة على التعقيل لأنه يسمح بتحرير الطفل مؤقتا من قيود العالم الواقعي الذي يمكن أن تتطور بطريقة غير مباشرة من خلال قدرته على التقليد المسائل والعواطف التي تثار لديه ثم يتم تعديل هذه التمثيلات وأثر هذا العمل النفسي يتم استرجاعه وينعكس في العالم الواقعي للطفل وخارج سياق اللعب.

تتضمن خبرة هذه القابلية للتأثر بين العالم الواقعي والهوام تطور البنية النفسية والعقلية الأكثر تطورا لدى الطفل Marons وآخرون(1991) وقد تبين أن اللعب في حضن العائلة ينمي مؤشر القدرة المبكرة للتفكير، التبصر أو استجابة الطفل حول المشاعر والمواقف (Dunn 1994) التقليد بما يسمح للطفل بأساليب توظيف

نفسية مطورة حديثا نادرة الاستخدام تحتل مكانة مهمة في حياته اليومية، هذا يعزز في المحيط المحمي لقيود الواقع، وممارسة مهارات مكتسبة حديثا في سيرورة تطوره. كما يسمح اللعب له بالنكوص في بعض الأحيان من أجل التعبير من الاهتمامات أو المخاوف اللاواعية التي تترجم أحيانا ببعض النضج أو التبعية (Fonagy- Target 1996). إضافة إلى ذلك، بما أن مهاراتهم اللغوية لم تتطور بعد بإمكانيات كاملة (Alexandre Chabot, Julie Achim, Miguel. M. ) (Touradas, 2015, P 213- 214) اللعب يعتبر الوسيلة المفضلة بالنسبة للطفل للتفاعل مع محيطه.

انطلاقا من سن السادسة، الطفل يصل إلى المرحلة الخامسة والأخيرة من تطور قدرة التعقيل، سواء مرحلة السيرة الذاتية يستطيع إذن تنظيم ذكريات خبراته وتجاربه بالمرجعية الذاتية. أي بالرجوع إلى ذاته مع الأخذ بعين الاعتبار الأبعاد السببية والزمنية، ما يسمح بالفهم الجيد لسلوكاته الحقيقية وسلوكات الآخرين على وجه الخصوص من لحظة يكون قادر على التعرف على نفسه في شريط فيديو "حفلة" أو "مهرجان" أقيم في السنة الماضية على سبيل المثال. يستطيع إذن إقامة روابط بين خبراته في الأحداث الماضية ومعاشه الحالي. ما يدفع به إلى صياغة تمنيات ورغبات حول تنظيم حفلاته بعيد الميلاد التي اقتربت.

وانطلاقا من هذه النقطة الطفل قادر على تقدير لفظي لحالاته النفسية الحقيقية وحتى فهم الآخرين (Fonagy وآخرون 2004).

وفي هذه المرحلة بالضبط القدرة على التعقيل تتطور في حضان علاقة التعلق السليم بين الطفل والراشد الذي يعتني به أو الذي يقدم له الرعاية، وقد ثبت أن الحساسية التي توضح للوالدين الحالة النفسية لطفلهم يزيد من احتمال تطوير علاقة تعلق آمن بينهما (Tuckey- Fradley- Fernyhough- 2001). (Meins) فحسب أسس التعلق هذه تستقر القاعدة الخاصة بقدرات التعقيل. في الواقع من أجل إدراك الحالات النفسية للطفل يجب أولا الاستفادة من شخص راشد معه (Allen- Fonagy- Bateman- 2008). الراشد الذي يعتني بالرضيع يجب أن يعبر عن إدراك متماسك طارئ وملحوظ في العواطف المعاشة من هذا الأخير (Allen وآخرون 2008).

الإدراك المتماسك يتضمن أن الوالدين يفهمون جيدا العواطف المعاشة من طرف الطفل، الذي يساء فهمه من طرف الآخرين، تشير الطوارئ المعبر عنها كاستجابات قريبة علائقيا من السلوك أو عن حالة انفعالية للطفل، من أجل

الوصول إلى أن القدرة على فهم سلوكه والاستجابات التي تثار لدى الآخرين هما مرتبطتان.

يتضمن الإدراك الملحوظ أن الراشد الذي يببالغ في ردود أفعاله العاطفية اتجاه عاطفة معبر عنها من طرف الطفل في النهاية تؤدي إلى وضعية تفخيم.

من خلال هذا التضمين للتعبير، الوالد يوافق على عاطفة معبر بها من طرف الطفل ويتعلم التفاعل مع عواطفه الحقيقية وسوف يدرك أنها ليست مطلقة وأنه يمكن النظر إليها بشكل مختلف من طرف الآخر وتعكس من جانب الوالدين تمثيل مرن (Allen وآخرون. 2008) (Alexandre Chabot, Julie Achim, ) (Miguel. M. Touradas, 2015, P215).

ولكن ماذا يحدث عندما يفشل الوالدان؟

عدد من الأطفال الرجوعيين يواجهون بيئات والدية فاشلة ومصادر حرمان متعددة هذا يدعو إلى ملاحظتين اثنتين:

• الرجوعية نتاج جيد على حد قول Cyrulnik (1999) حيث النسيج التفاعلي أو الاستناد المحيطي الخارجي يلعب دورا أساسيا، هنا في بناء الوظيفة العقلية للطفل.

• الوالدان لا يبيلون النموذج الوحيد الممكن للطفل (Bergeret 1998) يذكرنا بأهميتها أنها " تمثيل للقطب التقمصي الأساسي لكن ليس حصريا مختلف الدوائر الاجتماعية والتربوية التي تحيط بالعائلة تلعب دورها أيضا، خاصة في وضعيات الخطر أين التفاعل لا يحفز بطريقة مرغوبة ومرضية للحنان والحب بين الأفراد ولا يقلل القيمة بطريقة واضحة مصير وهمي وشؤم الضغوطات العدوانية."

وقد تلقى هذا التأكيد التجريبي Losel Bliesener Born (1990) وآخرون في حالات خطر الجنوح لدى المراهقين إن 50% من الحالات يتم تنفيذ استبدال من قبل المعلم وتثلث الحالات من قبل أحد أفراد العائلة الموسعة غير الوالدين (De Tychey, 2001, P 49-68).

• التطور المرضي: ليس كل الأطفال يمرون بمراحل تطور القدرة على التعقيل في نفس الوقت، والوالد ليس دائما قادر على تقديم هذا الإدراك المتماسك الطارئ والملحوظ للحالات العاطفية للطفل. وحينما لا يجد الطفل بديلا جيدا للوالدين كنموذج تقمص يجيد يحظى من خلاله بالرعاية والحنان والحب ويساعده في تجاوز معاناته بأشكالها.

وهكذا التاريخ العلائقي للطفل يترك آثار وبصمات ويطور مناطق هشاشة واختلال في التعقيل يتوصل إذن على الأقل إلى التفاوض مع بعض المواضيع مثل: التبعية أو الإدمان، الهجر، أو بعض الوضعيات المشحونة انفعاليا إن لم تكن قد تلقت ادراكا كافيا، فالطفل يمكنه أن يجد صعوبة في التمييز بين الواقع الخارجي وخبراته الذاتية اعتمادا على مدى الاختلالات الخاصة بالتعقيل، ويتوصل إلى البحث وتنظيم عواطفه (Target et Fonagy 2000) أهمية هذه الاختلالات للتعقيل تعتمد على شدة وتكرار اللحظات أين الراشد لم يتعرف بشكل صحيح على الخبرات العاطفية للطفل.

لما يظهر الوالد الإهمال في إعطاء العاطفة ولا يعترف بتجربة الطفل بطريقة متكررة على مدى فترة طويلة من الزمن، هذا يؤدي إلى ضغط الذي يمكن أن يؤدي هو الآخر إلى عواقب مؤقتة: الصدمة العلائقية (Schoore 2001، 2001) Zeanah et Scheeringa الطفل الذي يعاني من صدمة علائقية يمكن أن يجد صعوبة في تطوير قدرته على التعقيل بانسجام في المراحل الخمس المقدمة في السابق.

يثبت الإدراك لهذه العواطف صعوبات عويصة جدا في الاستجابة للحالات العقلية الخاصة بالشخص والآخر.

هذه الاختلالات في التعقيل يمكن أن تؤدي إلى ميل لتكرار النماذج العلائقية الصدمية، مع العزم لاشعوريا على حلها ومعالجتها، دونت هيئة وسائل مناسبة للقيام بذلك. في حالات الاعتداءات الخطيرة مثل الإهمال الحاد، سوء المعاملة الجسدية والجنسية، أثر الصدمة يمكنها أن تظهر بأشكال مختلفة لدى الطفل مثال لما يشعر بعاطفة شديدة أو انفعال شديد يمكنه أن يواجه صعوبة لتصميم تجربة داخلية التي قد تختلف عن الواقع الخارجي، في هذه الحالة نجد ميل لنمط " التوازي النفسي".

بالنسبة لطفل آخر يركز الاهتمام بشكل رئيسي على العالم الخارجي، في ما يخص الأخطار الجسدية والانفعالية التي تمثلها فإنه يكون من الصعب بالنسبة له اخذ بعين الاعتبار خبرته العاطفية، بالنسبة لهذا الطفل " النمط الخيالي الوهمي" هو المسيطر. في حالة أخرى، حيث يواجه انفعال شديد جدا يمكن اللجوء إلى محاولة دفاعية لتفكيك فصل وتنفيذ تفريق كامل بين خبرته الذاتية والواقع الخارجي حتى يكون في مستوى التفاوض مع المتطلبات المرتبطة بها (Target et Fonagy)

المرضى الذين يستشيرون الطب النفسي للأطفال وفي الطب النفسي للراشد غالباً مصابين باختلالات هامة في التعقيل على مدى العشرين سنة الماضية باحثين وعياديين وفروا جهود كبيرة لفهم أفضل للقدرة على التعقيل وقاموا بتقديم العجز لدى مرضى يعانون من اضطرابات نفسية مختلفة. (Alexandre Chabot, (Julie Achim, Miguel. M. Terradas, 2015, P216-217

#### اللعب، سياق لإحياء قدرة التعقيل لدى الطفل:

اللعب تم تحديده من طرف عدة مؤلفين كوسيلة أساسية مستخدمة من طرف الطفل لتمثيل نظرتهم للعالم المحيط به وتطوير عالمه الداخلي (1996 Fonagy et Target, 2000 Chethik, Philips Alvarez, 1998، في الواقع في تطور الطفل اللعب يسبق الرسم والكلام، حتى لو أنه من الشائع يتكلم أثناء اللعب، فلعب الطفل يساعد في الوصول إلى الرمزية (Alexandre Chabot et al, 2015, P221. )، فبالنسبة لـ S.Freud اللعب يحقق رمزيا ليس فقط الاشباعات الممنوعة، لكن أيضا مشاهد وضعيات مؤلمة ودرامية أو حتى تدميرية بالنسبة للطفل.

اللعب يقوم إذن وبامتياز باستعادة استعمال المحتوى اللاشعوري. أيا كان النشاط شعوري تكيفي هو مرفوض ويترك دون استعمال مختلف المؤلفين يستعملونه كسياق للاستكشاف وتقييم متغيرات نفسية داخلية والعلاقات الشخصية للطفل تفكر خاصة في " لعب الأطفال كأداة علاجية" (1998 Normandin- (Chazan-Kenberg. 2006. Boekholt. 1964 Staabs) هو شكل من أشكال الإبداعية للتعبير عن الذات هو أحد الخطوط العريضة للتواصل الأولى للقضايا النفسية الداخلية مع المحيط الخارجي Daymas Anzien (2007). (Alexandre Chabot et al, 2015, P221.)

حيث يعتبر من الحوافز الهامة لترسيخ طابع التوافق لدى الطفل انه يتخلى عن الخيال بمرور الزمن فيعزف عن الألعاب التخيلية ويزداد اهتمامه بالألعاب البناءة ولتشجيع الكبار له في هذه المرحلة دورا حاسما في تقوية مواهبه الإبداعية ومن أشهر الألعاب: اللعب بالرمل، الطين، قطع المكعبات. (هايدة موثقي، 2004، ص29)

ويذكر Madjid Tavakoli في كتابه على أن اللعب يبني عند الطفل نشاط متين، جدي، وهام فمن خلال اللعب يعبر الطفل عن كل مشاعره (رغباته، حزنه، فرحه، آلامه...) والأهمية الأساسية للعب في حياة الطفل "لأن اللعب فيه متعة ويوقظ الذكاء، ثراء في الإبداع، يعزز النشاط، يدفع إلى المنافسة..."

( Alexandre Chabot et al, P9)

عندما يواجه الطفل انفعال معقد، حيث يعاني من عدم ارتياح وأيضا يشعر بصراع بين الرغبة المتناقضة، فاللعب يسمح بتوظيف وتطوير حلول، وبالتالي التخفيف من حدة الضغط النفسي الداخلي.

(Alexandre Chabot et al, 2015, P 221.)

وفي هذا السياق يرى Harris أن "اللعب الرمزي هو أول علامة لقدرة عقلية التي تسمح بالنظر في البدائل في الواقع والتي تستمر مدى الحياة" 2007 في اللعب هنا كفكرة لكبح الواقع وتجاوز واختبار وتحويل ( Alexandre Hanni- Julliard et al, 2014, p 148). وهكذا اللعب يلعب دورا أساسيا في الدينامية النفسية للطفل، كما يقدم فرصة ربط الخبرات الداخلية بالواقع الخارجي الذي يتشارك فيه مع الآخرين، في الواقع بعض أحداث الحياة تثير انفعالات شديدة التيقن لا يستطيع الطفل معالجتها أو قد يجد صعوبة في تنظيمها، سياق اللعب يسمح بتمثيل وضعياته والشحنة العاطفية التي ترتبط بحضن الفضاء الانتقالي، في هذا المجال الخيالي، الانفعالات المحسوسة المعبر بها هي واقعية جدا، لكنها تثبت أنها أقل تهديدا. لأنه يتم تمثيلها ومعاشها في سياق خيالي. في هذا المعنى، لما يعبر الطفل عن نزواته من خلال اللعب يمكنه أن يتنازل عنها أو ينكرها أو يقوم بسحبها حيا لحاجة لما تكون الشحنة الانفعالية شديدة جدا، وتعود في نهاية المطاف، إنهما لا يستطيع القيام به في العالم الواقعي.

إذن اللعب يبني مجال ومساحة وسيطة من الخبرة لدى الطفل وهو المكان الآمن المحمي، أين الواقع الخارجي وخبراته الذاتية الواقعية تتعايش في نفس الوقت Winnicott (1971/1996) دمج وسائط " التوازي النفسي " و"الخيالي" للعثور عليها وتعزيزها.

يحمل اللعب الجدية في طبيعته، وتسيره في أغلب الأحيان قوانين صارمة فينتج عنه الإرهاق وقد يؤدي إلى إنهاك واستنفاد الطاقة فهو ليس مرح وتسلية أو متعة بسيطة فهو أكثر من ذلك (Madjid Tavokoli, 2011, P 9)

هناك خصائص أساسية في اللعب ونوعيته في الإشباع وعدم الإشباع، بمعنى إمكانية أن اللعب يتضمن معاني مختلفة من طفل إلى آخر، وحتى لدى الطفل نفسه اعتمادا على مزاجه في تلك اللحظة (Antonio Ferre, 2003) في الواقع Antonio Ferro يشير إلى مثال: الحكاية أو القصة.

فاللعب له عدة محتويات بالنسبة للطفل وملامح لحاويات ومضامين مختلفة الأشكال والأبعاد التي يمكن أن تكون مشحونة بانفعالاته، حسب الحاجة العاطفية الحالية، وهكذا نفس اللعبة، مثلا: لعبة+ الدمى التي يتم عليها أو رعايتها يمكن أن تحي الخوف والهلع لدى طفل ما، لكن المتعة أو الحزن لدى " أطفال آخرين ( Alexandre Chabot et al, 2015, P 222.)

فكل فعل مرح له معنى رمزي: اختيار الألعاب يرمز إلى السيرورة العاطفية للاختيار الموضوع ويحدد التثبيات (MadjidTavokoli, 2011, P 18.)

بالتالي إذا كانت نوعية عدم الإشباع التي تتعلق يجعل الطفل محاصرا في لعبة مصممة مسبقا، إذ أنه يستطيع أن يفعل ما يريد انطلاقا من تجربته الشخصية والتعبير بنفسه عن القضايا الداخلية النفسية.

الخبرة الانفعالية تختلف من طفل إلى آخر التي سيكون لها حتما تأثير في طريقته في تناول اللعبة وفي المعنى الذي يعطيها إياها، وبالتالي هناك العديد من وجهات النظر وطرق مختلفة لعيش تجربته الألعاب بالنسبة للأطفال (Ferro 2003)(Alexandre Chabot et al, 2015, P 222.)

ففي نظرية Aldère التعبير "المرح" "اللعب" لدى الطفل هو يهدف بحث تقمصي لأشخاص أقوياء المبدأ الأساسي للحياة النفسية هي بالنسبة له قوة الإرادة في الوصول إلى القدرة والقوة، اللعب هو إذن الفرصة لاستجابات تعويضية اتجاه الصعوبات أو عدم مقدرة الطفل والإحساس بالدونية أو النقص الجسدي أو إحباطات الحياة الاجتماعية (Madjid Tavokoli, 2011, P 17.)

حسب Donald. Winnicott(1975-1939) الطفل يتعلم تدريجيا من خلال اللعب السيطرة على عواطفه وقلقه. الأهمية المتعلقة باللعب هي الضيق الشديد أحيانا الذي يمكن أن يثير انقطاع لديه يدل على أن الطفل لا يلعب إلا بمتعة بواسطة دوره كمنفس (Alexandre Chabot et al, Ibid, 2015, p 222.) ، فبالنسبة لـ Carr يعتبر اللعب كتنفيس الذي يقضي على الميول الضارة الوراثية التي تصبح آفات في الحياة الاجتماعية الحالية للفرد (Madjid Tavokoli, 2011, p12).

واللعب يسمح للطفل بالتعبير عن شدة مشاعر الكره والعدوانية في الواقع الطفل الذي يسمح بتنظيم لعبة "عدوانية" والمضي دون أن يخشى رد فعل المحيط بارجاع هذا الكراهية أو هذا العنف، كما يمكنه في محيطه الواقعي Winnicott (1939/1975) العدوانية أنها على حد سواء مصدر للمتعة، لكن أيضا مصدر لضرر محتمل حقيقي أو خيالي يلحق بالآخر. وهكذا الانفعالات التي تؤدي إلى

إثارة معاشة غالبا ك " سيئة" من قبل الطفل، الذي لا يعرف في البداية كيف يعالجها ويديرها.

فالطفل لديه شعور بأن المحيط جيد وقادر على تحمل مظاهر هذه العواطف بما أنه يتم التعبير عنها بطريقة مناسبة للحفاظ على هذا الشعور، التحدي بالنسبة للطفل هو اكتشاف كيفية ترويضه وللتعبير عن الدوافع العدوانية التي يعبر عنها على شكل لعبة لما يتم القيام بذلك فقط حال مشاعر الغضب والهييج.

من الممكن التفكير أنه يشرع من جهته بأن يشعر بنزواته، إذا كان هذا الشكل من التعبير هو أكثر قبولا من طرف الراشد (Winnicott 1939/1975) ينبغي أن يكون الأمر كذلك لأن مجال وتأثير هذه الأفعال العدوانية هي ليست نفسها لما تكون في عالم الخيال إذا كانت تستهدف الآخر بشكل مباشر في العالم الواقعي، هذا الموقف لدى الراشد يعزز اندماج الأشكال " التوازي النفسي" و "الخيالي" لدى الطفل فتعبير هذا الأخير عن عدوانيته من خلال تصرف غير مقبول اجتماعيا. يدفع بالمعالج إلى محاولة تعزيز ظهور آليات التعبير عن الذات باللعب ما يسمح لاحقا بتشجيع تبني سلوكيات أكثر تكييفا .

(Alexandre Chabot et al, 2015, P 223.)

وهذا ما أكدته M Klein يقولها أن اللعب عند الطفل هو نمط تعبير أساسي لميكانيزمات الدفاع الأكثر بدائية ضد القلق" (Madjid Tavokoli, 2011, p 17). إلى جانب ذلك Antonie Ferro 2003 يذكر بأهمية أين الطفل لديه فرصة اللعب مع الآخرين في الواقع، اللعب هو أداة التي تسمح بتمثيل صراعاته وإيجاد حلولها، ومن خلال اللعب الطفل يعبر بسيناريوهات مختلفة ويمكنه أن يعيش انفعالات متعددة التي ترتبط به، إذن هو الحضور العقلي للآخر مثال (الوالد، المعالج...) الذي يلعب مع الطفل ويستقبل حالاته العقلية الذي يسمح بتحويل القلق إلى اللعب (Ferro. 2003) .

### مؤشرات القدرة على التعقيل في اللعب عند الطفل:

مجموعة الأطفال الذين يزورون استشاري في الطب النفسي للأطفال تواجه عموما صعوبات مهمة على مستوى القدرة على التعقيل. مثل هذه الاختلالات لوحظ في الأطفال الذين يعانون من أنواع مختلفة من الأمراض النفسية. (2007. Sharp) بما في ذلك مرض التوحد (Fonagy, Allen, Sharp, 2006)، الاضطرابات السلوكية (Sharp, 2007)، (Sharp) هذه الاختلالات تقلل بشكل

كبير من قدرتها على الاستفادة من العمل العلاجي نقول الكلاسيكي التي تركز أساسا على حل الصراع النفسي الداخلي لأن وظيفته النفسية والعلائقية تظهر تحت شك لتمثيل بدلا من التفكير. في النهاية، تقدير ما هي التدخلات النفسية التي يمكن الاستفادة منها. ويبدو أنه من الضروري لتقييم قدرة الطفل على التعقيل، هذا الأمر هو جد معقد للقياس في الواقع فإن المراحل الخمسة ( Alexandre Chabot et al, 2015, p 223. ) السابقة الذكر والقدرة على دمج النمطين ما قبل- التعقيل تنظم معايير نظرية مهمة، لكن مظاهرها هي سوية أكثر منها مرضية. ولا تزال من الصعب ملاحظتها عند الأطفال. لذلك اتضح أنه من الضروري لتحديد ما هي المظاهر التي يمكن ملاحظتها عند الأطفال التي تبني مؤشرات القدرة على التعقيل كان من الممكن التعرف على بعض العناصر الواعدة للعمل المستمر. تتألف بذهاب وإياب بين الأدب العلمي والملاحظات العيادية التي أجريت بالاشتراك مع مجموعة من العياديين في الطب النفسي للأطفال في مستشفى Sacré Cœur القلب المقدس لـ Montréal ( كيبيك، كندا).

كان هذا العمل يهدف بالدرجة الأولى إلى تحديد المظاهر الملاحظة في القدرة على التعقيل لدى الأطفال من خلال مختلف الطرائق العيادية هذا التحديد المتعلق بالجوانب السوية والمتوقعة أنها ستكون مرضية.

تبرز ثمانية عناصر على حد سواء، عمل الملاحظة العيادية ضمن الأدبيات العلمية كمؤشرات للقدرة على التعقيل مجموع هذه العناصر تظهر على الأرجح من خلال لعب الطفل خاصة من خلال لحظات اللعب المشحونة بالعواطف وهي مظاهر محتملة تجريبيا إضافة إلى صحة الاقتراحات النظرية، هذه العناصر هي:

- نوعية التفاعل.
- تنظيم الانتباه.
- تنظيم العواطف.
- القدرة على التظاهر.
- تماسك الخطاب وطرق التعبير عنها.
- غنى في تطوير محتوى اللعبة.
- ثراء التعبير عن العواطف.
- القدرة على التعبير وإدراك الحالات العقلية ( Alexandre Chabot et al, 2015, pp 226- 227

إذن يبين التعقيل سيرورة نفسية داخلية لوظيفة الرجوعية كما أن سيرورة التعقيل وثناء الفضاء الخيالي تسهم إلى حد كبير في إنشاء الرجوعية على المدى

البعيد. بمعنى رجوعية بنبوية، هيكلية أكثر استدامة لدى موضوع معين أما الرجوعية على المدى القصير تظهر أساسا للاستجابة إلى الصدمة.

من منظور داخلي نفسي، سيرورة الرجوعية تعمل على تعبئة القدرة المتاحة تحت أبعاد نفسية مختلفة إنها تطور من جهة، اعتمادا على صلابة أو مرونة ميكانيزمات دفاع الأنا لمواجهة معاناة الصدمة. ومن جهة أخرى اعتمادا في القدرة لإرصان النفسي الذي يسمح بإعطاء معنى وسرد المعاش الصدمي والتعبير عن الانفعالات المرتبطة بعمل التعقيل ( Anaut. M., 2004, p12)

## المراجع

1. Claude De Tychev, « **Surmonter l'adversité : les fondements dynamiques de résilience** », 2001, n°16,p 49-68, De Boeck supérieure. Cain, info cahiers de psychologie clinique.
2. Boris Cyrulnik, Duval Philippe, (2006), **psychanalyse et résilience**, Paris, Odile Jacob.
3. Alexane Hanni-Juillard et Anne Valérie Mazoyer, « **expression de mentalisation et l'imaginaire chez l'enfant victime d'un trauma** » enfance&psy 2014/2 (N° 63) p145-155. Doi 10. 3917/ep 063-0145, p 145.
4. Madjid Tavakoli, 2011, **le jeu chez l'enfant**, Paris, Sociétés des Ecrivain
5. Alexandre Chabot et al., « **La capacité de mentalisation de l'enfant à travers le jeu et les histoires d'attachement à compléter : perspectives théorique et clinique**», La psychiatrie de l'enfant 2015/1 (Vol. 58), pp. 207-240
6. Anaut Marie, « **la résilience en situation de soins : approche théorique-clinique**, 2004, n77, recherche de soins infirmière.